**المحاضرة الخامسة**

**علم الجمال (1)**

**تقدـيــــــــــــــم:**

تدور الفلسفة حول ثلاثة مباحث هي الأنطولوجيا والابستمولوجيا والأكسيولوجيا.

\_ الأنطولوجيا(Ontologie): جوهر الوجود وعلله وحدوثه وأزليته.

\_ ابستمولوجيا(Epistémologie): مبحث المعرفة ويتناول العلاقة بين الذات العارفة وموضوع المعرفة، بين الإنسان المدرك والوجود المدرك.

\_ الإكسيولوجيا(Axiologie) وهو مبحث يتعلق بالقيم ويبحث في ثلاثة أقانيم هي الحق والخير والجمال.

**مفاهيم حول علم الجمال:**

**\_ في المصطلح:**

**علم الجمال(Aesthétics) أو الاستيطيقا.**

وواضع هذا المصطلح هو الألماني Baumgarten (1714\_1762) الذي ألف كتاب وسمه بـ"تأملات فلسفية" واستخدم مصطلح "الاستطيقا" سنة 1735، ثم نشره في مجلدين. وقد شاع استعماله، على الرم من بعض المآخذ إذ يقول هيغل في هذا المقام: " سوف نأخذ إذن بمصطلح (الاستطيقا) ليس لأن الاسم لا أهمية له تذكر عندنا، وإنما لأن هذا المصطح فاز بحقوق المواكنية في اللغة الرائجة، وهذه بذاتها حجة لا يستهان بها في تأييد الإبقاء عليه". ومن هنا نرى أن التداول قد فرض سلطته، منتصرا على جهة الدلالة.

وينقسم موضوع علم الجمال إلى جمال طبيعي وجمال فنيّ. زتنحى الدراسات في هذا المجالإلى ترجيح الجمال الفني أو ما يسمى بفلسفة الفن أو الإبداع الفني.

وهكذا فإن "علم الجمال" و"فلسفة الجمال" و" فلسفة الفن" هي مصطلحات استخدمت للدلالة على مبحث علم الجمال.

أما في الدراسات العربية فقد شاع مصطلح "علم الجمال" وبنسبة أقل مصطح "الاستيطيا".

من أهم مفاهيم علم الجمال "هو دراسة حسية أو قيم جمالية".

أو " التفكير النقدي في الثقافة والفن والطبيعة".

**-أهم نظريات علم الجمال**:

1. **قديما**:
2. **النظرية الفيثاغورثية**:

فرق فيثاغورث بين مستوى الوجود المعقول والوجود المحسوس. وبالتالي قال بثنائية النفس والجسم.

1. **نظرية الجمال عند جورجياس:**

أي أنّ الفنون تقدم للنفس لذة حسية، ويضرب لذلك مثلا بأسطورة بيجماليون.

1. **عند سقراط:**

الجمال هو جمال النفس والأخلاق، وهو ما يحقق النفع والفائدة الأخلاقية ويخدم الحياة الإنسانية. لذلك فالجمال الحسي عند جورجياس هو انحلال خلقي لدى سقراط.

1. **عند أفلاطون:**

يرتبط مفهوم الجمال عند أفلاطزن بمفهوم الحب الإلهي، لأن موضوع الحب هو الجمال. والفنون تأخذ جمالها من محاكاة عالم المثل.

1. **عند أرسطو**:

يرى أن فن الشعر نشأ في الإنسان بفضل غزيزة طبيعية فيه هي غريزة المحاكاة. والمحاكاة هي أخلاق البشر وأفعالهم، أي أن الفن يحاكي الطبيعة. وقد عمم أرسطو فكرة المحاكاة على جميع أنواع الخلق الفني بغض النظر عن قيمتها.

**\_الجماليات الإسلامية**:

يشير مصطلح الفن الإسلامي إلى أي شكل من أشكال الفن في الثقافة الإسلامية، وقد حمل الفن الإسلامي توجها خاصا من خلال ابتكار أشكال فنية لا تتعارض مع أحكام الشريعة، لذلك ابتعد عن التجسيد متوجها نحو الفسيفساء والأرابيسك والخط العربي والعمارة والزخرفة منتهجا نمطا خاصا به يعتمد على زخارف نباتية وأشكال هندسية.

**\_ الجماليات في الثقافات الأخرى**:

عنيت الثقافات العالمية الكبرى بالمسألة الجمالية منذ القديم، سواء في الهند حيث اعتنت الثقافة الهندية بإبراز الجانب الجمالي وتمثيله للقيم الروحية، إذ تجلى ذلك في العمارة الكلاسيكية والنحت والرسم والأدب والموسيقى.

أما الفن الصيني فضارب بجذوره في عمق التاريخ، إذ أكد كونفوشيوس على أهمية الفنون والعلوم ودورها الإنسانية (خصوصا الموسيقى والشعر) في توسيع نطاق الطبيعة البشرية في الوصول إلى ما هو أساسي عن الإنسانية.

أما موزي فقد نبه إلى أن الأغنياء هم الذين يستفيدون من الفنون الجميلة.

وفي القرن الرابع الميلادي كان النقاش بين الفنانين حول الأهداف المناسبة للفن.

أما الفن الإفريقي فقد نشأ من العديد من الأشكال والأنماط، مع بعض التأثيرات الوافدة، وقد انبثق معظمه من التقاليد والقواعد الجمالية الشفوية والمكتوبة، حيث برز فن النحت والتجريد.

**المحاضرة السادسة:**

**علم الجمال (2)**

1. **نظريات علم الجمال حديثا:**

كما أشرنا في المحاضرة السابقة فإن علم الجمال لم يظهر إلا في منتصف القرن الثامن عشر، على يد baumgarden، الذي رأى في علم الجمال " علم تجارب الشعور". ثم جاء إيمانويل كانط ليضع معالمه خاصة في كتابه " نقد الحكم" عندما انتهى إلى القول بأن " الخبرة الجمالية لا ترجع إلى النشاط النظري، الذي يقوم به الذهن والذي يحدد شروط المعرفة، ولا إلى النشاط العلمي الذي يحدد السلوك الأخلاقي المعتمد على الإرادة، ولكنه يرجع إلى الشعور باللذة الذي يستند إلى اللعب الحر بين الخيال والذهن"، وبذلك فالجمال \_ حسب كانط\_ لا يعود إلى الموضوع وإنما مصدره الذات، إلا أنه ليس ذاتيا صرفا، وليس مجرد شعور سيكولوجي، ولكن فيه صفات الطلية والضرورة والشروط السابقة على الخبرة الحسية. وقد حدد كانط شروط الحكم بالجميل من حيث الكيف والكم والجهة و والعلاقة.

بينما تمثل فلسفة هيغل في الفن\_ وهي إحدى أهم النظريات الحديثة في مجال علم الجمال\_ نظرة واسعة النطاق للجمال في الفن وللتطور التاريخي للفنون وللفنون الفردية في العمارة والنحت والرسم والموسيقى والشعر. وتتضمن فلسفته في الفن تحليلات في الفن المصري والنحت و اليوناني والتراجيديا القديمة والحديثة. كما في كتابه " فينومينولوجيا الروح"(1807) فصولا عن "ديانة الفن"، غير أن فلسفته في "الفن الحق" تشكل جزءا من فلسفة الروح الخاصة به، وتشكل فلسفة الفن لديه(علم الجمال) أول قسم فرعي من فلسفته في الروح المطلق. وبسب معرفته الواسعة في مجال الفنون العالمية قديمها وحديثها فإن جمالياته تمثل "تاريخا عالميا حقيقيا".

وقد أثارت فلسفته في الفن جدلا واسعا بعد وفاته سنة 1831 خاصة من خلال ربطه بين الفن والجمال والحرية، أي حرية الروح، فالجمال الحق " موجود فقط في الأعمال الفنية المبتكرة بحرية بواسطة الموجودات الإنسانية لاستحضار ما تكونه الحرية الحقيقية إلى عقولنا". وعني بها كبار الفلاسفة بعده من أمثال هايدغر ووأدورنو وغادامير، الذين توجهوا إليها بالدراسة والنقد. عندما تتبع مسارات الفن عبر مراحله المختلفة منذ عصوره القديمة وانتهاء إلى العصور الحديثة بدءا بالفن الكلاسيكي الذي يرى فيه موطن الجمال المثالي الحق، والفن الرومنسي الذي يمثل الجمال الباطني، في حين ينظر إلى الفن الرمزي على أنه نتاج أعلى المستويات الفنية، إلا أنه يتخلف عن الجمال، لأنه" لا يملك فهما كافيا وغنيا لطبيعة الإلهي ولطبيعة الروح الإنسانية"أي أن المفاهيم التي ينتجها الفن الرمزي ناقصة لأنه يتكئ على مفاهيم ناقصة ( المفاهيم الروحية المتضمنة في الدين).

ولهذا فإن للجمال عند هيغل سمات شكلية متحققة هي:

\_  وحدة وتناغم العناصر وانسجامها.

\_ المضمون الذي يكس حرية وثراء الروح.

\_ مهمة الفن الأساسية هي تمثيل الحرية الإلهية والإنسانية.

وكما ذكرنا فإن علم الجمال المعاصر يقصي علم الجمال الطبيعي و لا يعتد إلا بالقيم الجمالية كما تبرز في الأعمال الفنية، إذ يقول شارل لالو" ليس للطبيعة قيمة جمالية إلا عندما تنظر إليها عبر فن من الفنون، أو عندما تكون قد ترجمت إلى أعمال أبدعتها عقلية أو شكلها فن و تقنية".

تقول الفيلسوفة الأمريكية سوزان لانجر إحدى رائدات علم الجمال في القرن العشرين:" الفن هو إبداع أشكال ترمز إلى المشاعر الإنسانية". أما الفيلسوف الإيطالي كروتشة فيقول عنه بأنه" التعبير عن الحدس".

ويمكن أن نلخص نظريات علم الجمال في العصر الحديث كما يلي:

1. **النظرية العقلية عند كانط**:

انطلق كانط في تحديده لمسألة الذوق من أساس عقلي ثابت، دون أن يتجاهل عنصر الذاتية في التجربة الجمالية، ذلك أن إدراك الجمال شعور قبل كل شيء ( الشعور الذاتي) لكن هذا الشعور يكتسب نوعا من الموضوعية، ذلك أن كل إحساس جمالي نصدره في صورة حكم صحيح يسري على أي شخص آخر في الموقف ذاته. وقد اعتمد كانط في تعليل هذا الموقف على جماليات الصورة (forme) لأنها المظهر الأساسي للجمال في كل موضوع. وهو الأمر الذي يدركه الناس بطريقة واحدة على الرغم من اختلاف إدراكاتهم للصفات الأخرى مثل اللون والصوت.

ومن هنا فإن الفن يملك القدرة على التوفيق بين الإحساس وبين التفكر المجرد، أي أنه يجمع بين عالمي الطبيعة والحرية\_ على الرغم من التعارض الظاهر بينهما\_ لأن " الموضوعات التي تثير هذا الحكم مستمدة من عالم الطبيعة لكننا نضفي عليها صورة وشكلا ملائما، وعند الحكم عليها ننسب إليها غرضية وغائية. ومن ثمّ يخلص كانط إلى أن الفن يوفق أيضا بين مجالي اللذة الحسية والخير الأخلاقي، مفرقا بين الجميل والجليل، كتوقفا عند ما سماه القوة الخلاقة أو العبقرية التي عرفها بأنها " الطبيعة وهي تعمل بوصفها عقل في الإنسان"، أي تلك الطاقة الروحية الخلاقة التي التي تجعل الخلق والإنتاج أمرا ميسورا.

1. **النظرية الرومانسية في الفن**:

يعد شوبنهازر أحد أبرز الفلاسفة الذين أولوا عناية خاصة بالفن، على خطى أستاذه "كانط" لكنه كان أوسع منه إلماما بموضوعه، إذ أسهب في الحديث عن العمارة والشعر والموسيقى والتصوير، وجعلها بنفس مستوى حديثه عن بقية الموضوعات الفلسفية. ناظرا إلى الفن باعتباره " نوعا من المعرفة"، لكنها معرفة تختلف عن الإدراك الحسي وعن المعرفة المجردة التي يتصف بها العلم بل يحتل موقعا وسطا بينهما، مستثمرا في فكرة المثل الأفلاطونية، لكن بمعنى مختلف، إذ أن المثال لديه ليس فرديا، لكنه في الوقت ذاته ليس تصورا فرديا، بل يعبر عما هو أساسي في العالم، قابلا للإدراك والتحديد. لكن هذا يتطلب حدوث تغيرات في الذات من بينها، التحرر من مطالب الإرادة للوصول إلى حالة من التنزه، تصبح فيها الذات أداة للتأمل الخالص، وبذلك يقوم الفن بدور المخلص للإنسان من استعباد الإرادة.

1. **النظرية التعبيرية**:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن إدراك المعرفة يتم بطريقتين، إحداهما حدسية والأخرى عقلية منطقية، ويذهب الفيلسوف كروتشة إلى أن الفن ينتمي إلى النوع الأول "فكل حدس مباشر ينطزي في ذاته على بادرة القدرة الفنية"، وميزة الفنان أنه يملك قدرة أعظم على التعبير عما يدركه بالحدس من غيره. لكن وظيفة الفنان لا تتمثل في نقل إحساسه إلى الآخرين، بل هو يعبر عن أحاسيس باطنة ويتححر منها من خلال عمله الفني، ويكمن دور الجمهور المتذوق لفنه في تحقيق المتعة الجمالية، دون أن يقصد الفنان إلى ذلك.أي أن الفن"نشاط روحي صرف، وترجمته ونقله إلى مجال الأشياء الخارجية هو عمل ثانوي يضاف إلى الجهد الروحي الحقيقي، الذي هو التعبير الفني الأصيل".

1. **جماليات ما بعد الحداثة:**

تشير بعض الآراء إلى التباس العلاقة بين ما بعد الحداثة ك" حركة فلسفية" وما بعد الحداثة ك" حرجة فنية"، حيث لا توج نصوص صريحة لفلاسفة ما بعد حداثيين يتبون فيها الدفاع عن التغيرات التي لحقت مفهوم الفن، أو نقدها، بالإضافة إلى فقدان " النظرية الجمالية التقليدية " لبريقها، مع النزوع نحو الجانب التطبيقي.

ومع ذلك يمكن تلمس بعض الملامح الجمالية التي تسم عصر ما بعد الحداثة باعتباره تمردا عما كان سائدا، خاصة مع دخول التكنولوجيا وطهور جملة من النزعات الجديدة التي" تسعى إلى البحث الدائم عن أشكال فنية وفكرية جديدة، وأساليب وتقنيات مبتكرة".

وكان من بين نتائج ما بعد الحداثة في مجال الفن:

* إزالة الحدود بين الثقافة النخبوية والثقافة الجماهيرية.
* تسليع الفن.
* الارتباط بالتكنولوجيا.
* التشظي.
* الحنين إلى الماضي.